المحاضرة الأولى: المخدرات – مفهومها، أنواعها وتصنيفها –

مقدمة:

في قلب كل مجتمع، تدور معركة صامتة بين قوى البناء والهدم، بين الأمل والانهيار، بين البحث عن الذات والضياع في متاهات الهروب. ومن أكثر الظواهر التي تجسد هذا الصراع تلك التي تشكل تهديداً صامتاً ومتسللاً لكيان الأفراد والمجتمعات: ظاهرة المخدرات.

المخدرات ليست مجرد مواد كيميائية، بل هي انعكاس لعوالم اجتماعية ونفسية متشابكة. إنها أشبه بمرآة تعكس هشاشة البنية الاجتماعية واختلال منظومة القيم، حيث يجد الإنسان نفسه أحياناً باحثاً عن خلاص وهمي، أو مخرج زائف من أزمات معيشية، ضغوط اقتصادية، أو اغتراب اجتماعي. وسوسيولوجياً، تشكل المخدرات ظاهرة معقدة تتجاوز حدود الطب والقانون لتتسلل إلى عمق الحياة الاجتماعية، وتتعدد أشكال المخدرات وتصنيفاتها بتعدد الأسباب التي تدفع الإنسان لاستهلاكها، فمنها ما هو طبيعي المصدر كالحشيش والأفيون، ومنها ما هو صناعي كالمؤثرات العقلية والمواد الكيميائية المركبة. وتصنف هذه المواد أيضاً بحسب تأثيرها: فمنها المنبهات التي توهم صاحبها باليقظة والطاقة المفرطة، والمهدئات التي تدفعه نحو الاسترخاء والهروب، والمهلوسات التي تعيد تشكيل الواقع وتفصله عن إدراكه الحقيقي.

تحظى ظاهرة تعاطي المخدرات باهتمام بالغ من قبل الباحثين في العلوم الاجتماعية في العقدين الأخيرين ويرجع السبب في ذلك الى الانتشار الكبير لهذه الظاهرة على المستوى المحلي بحيث أصبحت الشغل الشاغل لا للعلماء الاجتماعيين فحسب، بل لرجال القانون وعلماء النفس، وصناع السياسة. ولا غرابة في ذلك. فالمخدرات داء اجتماعي يقضي على كل منجزات الدولة، ويحول ثمار التنمية والتقدم الى تخلف وتراجع، ذلك أن الادمان يتجه الى تحطيم أغلى ما تملكه أي أمة وهو العنصر البشري.

هكذا، يقف موضوع المخدرات عند تقاطع العلم، القانون، الاجتماع، والأخلاق، ليطرح أسئلة جوهرية: ما هي المخدرات وما هي أنواعها؟ وتصنيفها ثم ماهي اثاروها؟

1.تعريف المخدرات: توضيح مفهومها لغة واصطلاحا

يعتبر تعريف المخدرات أمرًا أساسيًا لفهم طبيعتها، لكن للأسف، لا يوجد تعريف موحد ومتفق عليه يوضح مفهومها بدقة. لهذا السبب، لم تتضمن الاتفاقيات الدولية تعريفًا واضحًا للمخدرات. في تقارير الأمم المتحدة التي صدرت عام 1979، والتي تتعلق بالاتفاقية الوحيدة للمخدرات لعام 1961، المعدلة بموجب اتفاقية عام 1973، بالإضافة إلى اتفاقية المؤثرات العقلية لعام 1971، تم الإشارة إلى تصنيف المواد المخدرة دون تقديم تعريف محدد لها. بدلاً من ذلك، تم إدراج هذه المواد في جداول تصنيفية حسب درجة خطورتها، حيث يحتوي الجدول الأول على المواد الأكثر خطورة، يليه الجدول الثاني للمواد الأقل خطورة، وهكذا في الجداول اللاحقة.

الجدول الأول

الأستورفين	الألفاميثوول	البنزيلمورفين
الاليبرودين	الانيسليريدين	البتامبيرودين
الألفايبرودين	البنزميثيدين	البيباميثارول
القنب	الكونيتازين	ورقة الكوكا وغيرها
الكوكايين	الكودوكسيم	قش الخشخاش
الدويزومورفين	الديقوكسيلات	الايتروفين
الفيازوسين	الشيباكون	الثيبابين

الجدول الثاني: الذي يضم أنواع أساسية، ولها جزيئات متعددة، وهي

الأستيلديهيدركوديين	النوركوديين	الكوديين
الفولوكودكين	الديهيدروكوديين	البروبيرام
النيكوكودين	البروبيرام	

في المادة الأولى من اتفاقية عام 1961، تم تعريف المخدر بأنه أي مادة طبيعية أو تركيبية من المواد المخدرة المذكورة في الجدولين الأول والثاني.

أما الجدول الثالث فيشمل المواد الأقل خطورة، وعددها سبعة أساسية عدا الجزيئات منها وهي:

الأستيلديهيدركوديين	النيكوديكوديين	الاثيلمورفين
الكوديين	النوركوديين	الديهيدروكوديين
دالفولوكوديين		

إذا كانت هذه المادة مركبة مع مادة أو أكثر، وكانت كمية المخدر فيها لا تتجاوز 100 ملليغرام في الوحدة الدوائية الواحدة، ونسبة التركيز لا تتجاوز 2.5% في المستحضرات غير المتجزئة، فإن الإحصاءات الأخيرة في فرنسا عام 1986 أشارت إلى أن عدد المواد المخدرة يتجاوز 500 مركب، جميعها تؤثر على المتعاطي والمدمن، مما يؤدي إلى تدهور بدني، انهيار عصبي، وضعف عقلي. عند النظر في المفاهيم المختلفة لتعريف المخدرات، نجد تنوعًا في الآراء والتصنيفات. بعض التعريفات تصف المخدرات بأنها أي مادة يتناولها الكائن الحي، مما يؤدي إلى تغيير وظيفة أو أكثر من وظائفه الحيوية. كما تُعرَّف المخدرات بأنها مواد طبيعية أو مصنعة تؤثر على جسم الإنسان، فتغير إحساساته وسلوكه وبعض وظائفه الحيوية، مما قد يؤدي مع تكرار استخدامها إلى عواقب وخيمة على الصحة الجسدية والعقلية، بالإضافة إلى تأثيراتها السلبية على البيئة والمجتمع. وقد بذل الباحثون جهودًا لتقديم تعريفات متعددة للمخدرات، بعضها علمي والبعض الآخر قانوني.

– من منظور علمي، تُعتبر المخدرات مواد كيميائية تُحدث تأثيرات مهدئة، مما يؤدي إلى الشعور بالنعاس أو النوم أو حتى فقدان الوعي، مع تأثير مسكّن للألم. وبناءً على هذا التعريف، لا تُصنَّف المواد المنشطة وعقاقير الهلوسة ضمن فئة المخدرات، نظرًا لاختلاف تأثيراتها على الجسم والعقل.

– وفقًا للمعجم الوسيط، يُعرَّف المخدر بأنه ما يعطل الإحساس ويغير الشعور والإدراك.

– كما ورد في الموسوعة الميسرة: "المخدر هو مادة تسبب فقدان الوعي لدى الإنسان والحيوان بدرجات متفاوتة، وقد تؤدي في النهاية إلى غيبوبة قد تنتهي بالوفاة."

– بالإضافة إلى ذلك، يشير التعريف القانوني إلى وجود مجموعة من المواد التي تسبب الإدمان وتسمم الجهاز العصبي، والتي يُحظر تداولها أو زراعتها أو تصنيعها، إلا لأغراض يحددها القانون، ولا تُستخدم إلا من قبل الأشخاص المرخص لهم بذلك.

–أشار الدكتور سعد المغربي إلى أن المخدرات تشمل أي مادة خام أو مصنعة تحتوي على مواد منبهة أو مسكنة، والتي إذا استُخدمت بطرق غير طبية أو صناعية، قد تؤدي إلى الاعتياد والإدمان. وهذا يمكن أن يسبب أضرارًا جسدية ونفسية واجتماعية للفرد والمجتمع. ومع ذلك، فإن هذا التعريف لا يتضمن المواد المسببة للهلوسة، مثل LSD، مما يستدعي توسيع المفهوم ليشمل جميع العقاقير التي تؤثر على الجهاز العصبي المركزي، سواء عن طريق التنشيط أو التثبيط أو التسبب في الهلوسة والتخيلات. هذه المواد يمكن أن تؤدي إلى الاعتياد أو الإدمان، مما يسبب أضرارًا جسدية ونفسية، بالإضافة إلى تأثيراتها السلبية على المستوى الاجتماعي. كما أنها تساهم في تفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمع ككل.

–عبد الباسط عبد المعطي يصف المخدرات بأنها "مواد تؤثر على النفس، مما يؤدي إلى اضطرابات في الإدراك والسلوك. وغالبًا ما ينتج عن استخدامها الاعتياد أو الإدمان، مما يسبب آثارًا اجتماعية سلبية تؤثر على الأسرة والمجتمع."

– تعريف المخدرات من منظور قانوني جزائري:

القانون الجزائري عرّف المخدرات بموجب الأمر رقم 04-18 الصادر في 25 ديسمبر 2004، والذي يتناول الوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية، بالإضافة إلى مكافحة الاستخدام والتجارة غير المشروعة بها. وفقًا للمادة 2، تُعتبر المخدرات أي مادة طبيعية أو صناعية مدرجة في الجدولين الأول والثاني المرفقين بهذا الأمر، والتي يمكن أن تؤدي إلى الإدمان وتسبب أضرارًا للصحة العقلية أو الجسدية للإنسان.

هذا التعريف يهدف إلى تضمين جميع المواد المخدرة، سواء كانت نباتية أو مصنعة كيميائيًا، طالما أن استخدامها يؤثر سلبًا على الصحة البدنية أو النفسية خارج الأطر الطبية والقانونية.

أما المؤثرات العقلية، فهي تشمل أي مادة طبيعية أو صناعية مدرجة في الجدولين الثالث والرابع المرفقين، والتي تؤثر بشكل مباشر على الجهاز العصبي المركزي، مما يؤدي إلى تغييرات في النشاط العقلي أو السلوك، وقد تسبب الاعتياد أو الإدمان.

الفرق الأساسي بين المخدرات والمؤثرات العقلية

المؤثرات العقلية

التعريف مواد تؤثر على الحالة النفسية أو الذهنية تسبب دائماً تغيير الوعي

أمثلة شائعة الأمفيتامينات، المهدئات، مضادات الاكتئاب، LSD

طريقة التأثير تغيير كيمياء الدماغ بما يؤثر على المزاج، التفكير، والادراك

الاستعمال الطبي تُستخدم غالباً لعلاج الاضطرابات النفسية والعقلية

احتمال الإدمان متنوع حسب النوع، بعض المؤثرات تسبب الإدمان بدرجات أقل

الشرعية / القانون تستخدم طبيا وتخضع لتنظيم قانوني دقيق

طرق التعاطي البلع، أحيانا عن طريق الحقن حسب التركيبة

التأثير الفوري تؤثر على المزاج، الإدراك، الوعي، والسلوك وقد تسبب الاعتماد النفسي بدرجات متفاوتة.

المخدرات

التعريف مواد تؤثر على الجهاز العصبي وتسبب تسكين الألم والنشوة أو تغييب الوعي

أمثلة شائعة الهيروين، الأفيون، الكوكايين، الحشيش، المورفين.

طريقة التأثير تثبيط أو تنشيط مفرط للجهاز العصبي المركزي.

الاستعمال الطبي بعض الأنواع مثل المورفين تُستخدم تحت إشراف طبي لتسكين الألم

احتمال الإدمان عالي جداً

الشرعية / القانون أغلبها ممنوعة قانوناً إلا للاستخدام الطبي الخاضع للرقابة الصارمة

طرق التعاطي التدخين، الشم، الحقن، البلع

التأثير الفوري تسبب فقدان الشعور، تسكين الألم، الإدمان الجسدي والنفسي، تغييب العقل

2. أنواع المخدرات وأسس تصنيفها

تصنيف المواد المخدرة –دراسة تحليلية–

نظرًا لتنوع أنواع المخدرات وتعريفاتها المختلفة، تم تصنيفها بناءً على عدة معايير، مثل طريقة الإنتاج، والتأثيرات الفسيولوجية والنفسية، ومستوى الاعتماد النفسي والجسدي، والتركيب الكيميائي. هذا التصنيف يساعدنا على فهم طبيعة المواد المخدرة وآليات تأثيرها، مما يسهم في تطوير استراتيجيات فعالة للوقاية والعلاج.

1.2. تصنيف المخدرات وفقًا لطريقة الإنتاج

1.1.2. المخدرات الطبيعية

تشمل هذه الفئة من النباتات تلك التي تحتوي على مواد مخدرة في أوراقها أو زهورها أو ثمارها، مما يؤدي إلى فقدان مؤقت كلي أو جزئي للإدراك. بعض هذه النباتات معروفة على مستوى العالم، بينما يقتصر وجود البعض الآخر على مناطق معينة. ما يميز المخدرات الطبيعية هو أنها لا تتعرض لأي تعديل كيميائي صناعي، بل يتم استهلاكها كما هي في الطبيعة. ومن أبرز هذه النباتات:

–القنب الهندي (الحشيش)

–الخشخاش (الأفيون)

–نبات الكوكا

– نبات القات

2.1.2. المخدرات المصنعة

تتكون هذه المخدرات من مواد مأخوذة من مصادر طبيعية، لكنها تمر بعمليات كيميائية في المختبرات لتعزيز فعاليتها وتأثيرها. تشمل أشكالها المتنوعة: الأقراص، الكبسولات، البودرة، والحبوب، حيث يتم تصنيعها بإضافة مواد كيميائية تزيد من قوة تأثيرها.

3.1.2. المخدرات التخليقية

تشمل هذه الفئة المركبات الكيميائية التي يتم تصنيعها بشكل صناعي وليس لها أصل طبيعي، وغالبًا ما تأتي في شكل حبوب. ومن الأمثلة على ذلك:

– الأمفيتامينات

– عقار LSD

– الباربيتورات

2.2. تصنيف المخدرات وفقًا لتأثيراتها

1.2.2. مجموعة المخدرات المسكنة

تتضمن هذه المجموعة مواد تؤثر على الجهاز العصبي المركزي، مما يساعد على تهدئة الجسم وتخفيف الألم. لكن، يجب أن نكون حذرين، لأنها قد تؤدي أيضًا إلى آثار سلبية خطيرة على صحتنا النفسية والجسدية. ومن أبرز هذه الآثار:

-الأفيون:(Opium)

يتم استخراج هذا المركب من نبات الخشخاش عندما يكون لا يزال أخضر، ويتميز بتركيبته الكيميائية التي تحتوي على 25 مركبًا قلويًا وأحماضًا عضوية. يمكن أن يؤدي تعاطيه إلى مشاكل في الذاكرة، وظهور علامات الشيخوخة المبكرة، بالإضافة إلى القلق والاكتئاب، واضطرابات في التفكير والجهاز الهضمي.

-المورفين:(Morphine)

المركب الفعال الرئيسي في الأفيون يُستخدم بشكل طبي لتخفيف الآلام الشديدة، لكنه يحمل خطر الإدمان والاعتماد الجسدي والنفسي.

- الهيروين:(Heroin)

يعتبر هذا المخدر من أخطر الأنواع التي لها تأثير قوي، حيث يُشتق من المورفين. يمكن أن يؤدي إلى آثار جسدية مدمرة مثل تصلب الشرايين وفقدان الشهية، بل وقد يسبب السرطان، وفي أسوأ الحالات، قد يؤدي إلى الوفاة نتيجة الجرعات الزائدة.

- الكودايين:(Codeine)

يعتبر أحد مشتقات الأفيون ويُستخدم طبيًا في أدوية السعال، لكن يجب الحذر لأنه قد يؤدي إلى الاعتماد النفسي والجسدي إذا تم استخدامه بشكل خاطئ.

2.2.2. مجموعة المنومات:

تتكون من مركبات كيميائية تؤدي إلى الاسترخاء والنوم، ومن أشهرها الباربيتورات مثل:

- أميتال الصوديوم(Amytal Sodium)

- نيمبوتال(Nembutal)

- سيكونال(Seconal)

- تونال(Tuinal)

يسبب تعاطي هذه المواد تبلد الجهاز العصبي، والغيبوبة، والاكتئاب الحاد، وقد يؤدي إلى الإدمان.

3.2.2. مجموعة المخدرات المنبهة(Stimulants)

تشمل هذه الفئة المواد التي ترفع مستوى النشاط العصبي والجسدي، ومنها:

– الأمفيتامينات:

المواد الكيميائية تؤثر بشكل مباشر على الجهاز العصبي المركزي، مما يمكن أن يؤدي إلى زيادة معدل ضربات القلب، فقدان الشهية، الشعور بالقلق، وارتفاع ضغط الدم.

– الكوكايين:(Cocaine)

يُستخرج من نبات الكوكا، ويُعتبر من أقوى المنبهات التي تؤثر على الدماغ والجهاز العصبي. يمكن أن يؤدي إلى فقدان الشهية، الهزال، واضطرابات نفسية، وقد يسبب أيضًا هلوسات سمعية وبصرية.

4.2.2. مجموعة المخدرات المهلوسة (Hallucinogens)

تُعرف أيضًا بالمخادعات، حيث تؤدي إلى اضطرابات في الإدراك الحسي والعقلي. ومن أبرز أنواعها:

– عقار:LSD

يتم صنعه من فطر الأرجوت، ويسبب هلوسات سمعية وبصرية بالإضافة إلى اضطرابات عقلية خطيرة.

– الميسكالين:(Mescaline)

في البداية، يُستخدم كعلاج طبي، لكنه قد يتسبب في اضطرابات إدراكية، وهلاوس بصرية، وقلق شديد، وقد يؤدي إلى فقدان البصر أو حتى الإصابة بالذهان.

– الحشيش:(Hashish)

يتم استخراج هذا المركب من الأزهار المزهرة لنبات القنب الهندي، ويتميز بتأثيرات مثل الشعور بالنشوة، والانفصال عن الواقع، والضحك غير المبرر، بالإضافة إلى اضطرابات في الجهاز العصبي والهضمي. كما يمكن أن يؤدي إلى مشاكل مثل الفصام والاكتئاب المزمن.

من كل ما سبق، يمكننا أن نستنتج أن المواد المخدرة تأتي بتنوع كبير، سواء من حيث مصدرها أو طريقة إنتاجها، وكذلك الأعراض والتأثيرات التي تسببها. ومع ذلك، فإنها تتشارك جميعًا في تأثيرها السلبي على صحة الإنسان، مما يشكل خطرًا على الأفراد والمجتمعات. لذا، فإن الوعي بهذه الأنواع وتأثيراتها يعد خطوة أساسية نحو تطوير استراتيجيات فعالة للوقاية والعلاج من الإدمان.

في ظل التغيرات السريعة التي يشهدها عالمنا اليوم، تظهر تحديات كبيرة تهدد استقرار المجتمعات وتعرقل مسيرة التنمية، ويأتي انتشار المخدرات في مقدمة هذه القضايا المعقدة. فالمخدرات ليست مجرد مواد كيميائية تؤثر على الجسم والعقل، بل هي ظاهرة معقدة تتداخل فيها الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والصحية، مما يجعلها واحدة من أخطر المشكلات التي تواجه الأفراد والمجتمعات على حد سواء. ورغم أن تعريف المخدرات يختلف حسب

المنظورات الطبية والقانونية والاجتماعية، إلا أن ما يجمع بينها جميعًا هو قدرتها على إحداث تغييرات كبيرة في وظائف الدماغ، مما يؤدي إلى الإدمان ويؤثر سلبًا على الصحة الجسدية والنفسية.

تُصنَّف المخدرات بناءً على تركيبها الكيميائي وتأثيرها على الجسم، بالإضافة إلى مصدرها. فهناك مخدرات طبيعية تُستخرج من النباتات، وأخرى صناعية تُصنع في المختبرات لتعزيز تأثيرها أو تغيير خصائصها. كما تختلف المخدرات في كيفية استخدامها؛ فبعضها يُستخدم لأغراض علاجية تحت إشراف طبي، بينما يُستهلك البعض الآخر بطرق غير قانونية، مما يسهم في انتشار الإدمان ويؤدي إلى عواقب وخيمة على الأفراد والمجتمعات.

لذا، تبرز الحاجة الملحة إلى نهج علمي شامل لدراسة المخدرات، بهدف تعزيز الفهم حول طبيعتها وتصنيفاتها وآثارها المتعددة. هذا سيساعد في رفع الوعي المجتمعي بمخاطرها ويدعم جهود الوقاية والمكافحة للحد من تأثيراتها السلبية على الأفراد والمجتمعات.

في النهاية، يمكننا أن نقول إن فهم مفهوم المخدرات وأنواعها وتصنيفاتها هو خطوة أساسية لزيادة الوعي بخطورتها على الأفراد والمجتمع. فالمخدرات تختلف في تركيبتها وتأثيرها، لكنها تتشارك جميعًا في تهديد الصحة النفسية والجسدية وتفكيك النسيج الاجتماعي. لذا، يبقى التصدي لهذه الظاهرة مسؤولية جماعية تتطلب منا التوعية والوقاية والعلاج، من أجل حماية المجتمع وضمان استقراره وتماسكه.